

بين الاقتباس والتناسخ : توافق وتباين

إعداد: نعمة الله شيخ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي خلق الإنسان بحكمته من غير مثال ولا اقتباس سبق،
أنزل القرآن وجعل هجرته سراجاً منيراً،
والصلاة والسلام على من لا نبي بعده صلى الله عليه وسلم وهدى بالبصيرة طمست قلوبنا سيدنا محمد وعلماؤه أصحابها الذين اقتبنا
سوا من بدائع أنوار هو سقايا من حاسن كؤوسه وصراروا كالنجوم بالنيرة،
ومنتبعمها بحسان اليوميقو لا المناقونو المناققاتللذين ءامنوا انظر وناقبتبسمن نوركم، يوم
لا ينفعمالو لابنونا لامنا تالالهبقلسليم.

وبعد : من المصطلحات الحديثة الظهور في الدراسة العربية مصطلح التناسخ،
نشأ هذا المصطلح بهذا الاسم عند الباحثين الغربيين، واستفاده النقاد العرب من
الغرب عن طريق الترجمة، مع أن المفهوم لم يكن يفقد جذوره في التراث الأدبي
العربي القديم، فاهتمام الأدباء والبلاغيين بقضية السرقات الأدبية والاقتباس في
الأدب العربي يظهر بشكل جلي مدى تأصل ظاهرة التناسخ في الأدب العربي
تحت مسميات أخرى، وكلها عبارة عن تصرف الأديب شاعرا كان أو ناثرا في
نص الغير، وتداخل النصوص وتفاعل بعضها مع بعض، وتوضيح تأثر اللاحق
بالسابق في الابداع والمحاكاة في العمل الأدبي، من حيث اللفظ أو المعنى. تهدف
المقالة إلى تسليط الضوء على مفهوم المصطلحين: الاقتباس والتناسخ، وبيان
رأي بعض الباحثين فيهما، والإشارة إلى وجه الاتفاق والافتراق بينهما، وتحتوي
المقالة بعد المقدمة على النقاط التالية :

- i. الاقتباس : مفهومه وأنواعه .
- ii. آراء الباحثين حول الاقتباس .
- iii. التناسخ : مفهومه وأنواعه .
- iv. الاتفاق والافتراق بين الاقتباس والتناسخ.
- v. الخاتمة .
- vi. الهوامش والمراجع .

الاقتباس: مفهومه وأنواعه :

الاقتباس لغة: مأخوذ من مادة "قَبَسَ" يقال قبس ناراً يَفْبِسُهَا أخذها من معظمها، وقَبَسَ علماً تعلمه، وقبستُ الرجل علماً وأَقْبَسْتُه ناراً وعلماً بالألف فَاَقْتَبَسَ، والقَبَسُ بفتحين شعلة من نار يَقْتَبِسُهَا الشخص.ⁱ

قال الجوهري: قبست من ناراً أقبس قبساً فأقبسني أياً عطاني من قبساً.ⁱⁱ

وفيلسان العرب: القبس: النار أو الشعلة من النار تقبسها من معظم، واقتباسها الأخذ منها.ⁱⁱⁱ

ومنه قول تعالى حكاية عن نبيه موسى عليه السلام
: {... إِنِّي أَسْتُنَارُ الْعَلْيَاتِ كَيْمُنْهَا يَقْبَسُوا وَاجِدُ عَلَانَاتٍ هُدًى.} ^{iv}

قال البغوي في تفسيره للآية: { لَعَلِّيَاتِ كَيْمُنْهَا يَقْبَسُ } شعلة من نار،
والقبس قطعة من النار تأخذها فيطر فعمود من معظم النار.^v

الاقتباس اصطلاحاً: وأما الاقتباس في اصطلاح علماء البديع فقد عرفوه بعبارة امتنوعه كلها تر ميا بالمعنى واحد،
منها:

(1) عرفها القزويني بقوله: "الاقتباس أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث لا علماً به."
^{vi}

(2) و عرفها السيوطي بقوله:
الاقتباس أن يضمن (أبداً) نثرها أو شعرها أو وقعها لقرآن الكريم أو السنة موزوناً لا علماً به.
منه: أبلع وجهي شعر بأنهمنا لقرآن السنة، بأنيقاً لفاء أثناء الكلام لقال الله تعالى،
أوقال رسول الله صلوات الله عليه وسلم، فإن ذلك لا يكون حينئذ اقتباساً.^{vii} وفيه يقول:
من ذلك الاقتباس أن يضمننا *** من القرآن والحديث ما عني
علطر يقلب منهن مثلما *** قال الحريري ولما دهما
قلنا جميعاً شاهتا لوجوه *** وقبح اللع ومن يرجوه ^{viii}
يشير السيوطي – رحمه الله – في هذه الأبيات إلى حد الاقتباس الذي سبق ذكره،
ومثل باقتباس من الحديث في كلام الحريري عند ما يقول في حكاية: " ... فلماً

رَأَيْنَا نَارَهُمْ نَارَ الْخُبَابِ، وَخُبِرَهُمْ كَسْرَابِ السَّبَابِ قُلْنَا: شَاهَتِ الْوَجُوهُ. وَقُبِحَ
ix اللُّكْعُ وَمَنْ يَرْجُوهُ... "

وقوله " شَاهَتِ الْوَجُوهُ " مقتبس مما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يَوْمَ حُنَيْنٍ أَحَدًا قَبْضَةً مِنَ الْأَرْضِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ بِهَا عَلَى الْمُشْرِكِينَ، فَرَمَى بِهَا فِي
وُجُوهِهِمْ ، فَقَالَ: " ارْجِعُوا شَاهَتِ الْوُجُوهُ... "x

(3) وعرف بسيوني عبد الفتاح الاقتباس بقوله: "الاقتباس أن يضمن المتكلم
كلامه شيئاً من القراء أن الكريم أو الحديث الشريف دون أن يشعر بذلك، بأن
يقول: قال تعالى، أو قال الرسول صلى الله عليه وسلم، أو نحوه"xi.

ويتضح من التعريفات السابقة أن الاقتباس هو أن يلون المتكلم كلامه شعرا كان
أو نثرا عبارة لا تخفى على القارئ أو السامع أنها من القراء أن الكريم أو الحديث
الشريف، من غير أن يصرح بأنها مأخوذة من القرآن الكريم أو الحديث الشريف
بمثل: قال الله تعالى، أو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو نحوهما، قبل
استهلال العبارة المقتبسة أو بعدها، في حين لو صرح بذلك لا يكون اقتباسا، بل
يكون استشهادا أو استدلالا.

ومثال الاقتباس في النثر من القرآن قول ابن نباتة في بعض خطبه:

"فيا أيها الغفلة المطرقون، أما أنتم بهذا الحديث صدقون؟ ما كملاتشفقون؟ "

فور بالسماء والأرضان هل حقمتلما أنكم تنطقون. "xii مقتبسا من قوله تعالى:

{ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُعَدُّونَ بِالسَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ ضَائِحَةً لِحَقِّكُمْ لَمَّا أَنْكُمْ تَنْطِقُونَ. } xiii

ومثاله من الحديث قول الحريري في مقدمة مقاماته :

"ولم يُسَمَّ غَيْبًا نَبَأَ سَمِعُ عَنْكَ الْحِكَايَاتِ، أَوْ أَثْمَرُ وَاتِّهَابِ فِتْمَانِ الْأَوْقَاتِ، تَمَّ إِذَا كَانَتْ لِأَعْمَالِ

النِّيَّاتِ، وَبِهَا أُنْعَادُ الْعُقُودِ الدِّينِيَّاتِ، فَأُجْرَجُ عَلِيمًا نَشَأُ مُحَالًا لِلنَّبِيَّةِ، لِالْتِمُوهِ... "xiv

مقتبسا منقول له صلبا لله عليه وسلم من حديث عمر ابن الخطاب رضي الله عنه:

إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا الْكَلَامُ بِرِئَايَةِ مَنْ أَوْقَفَ... "xv

ومثاله في الشعر قول الأستاذ عبد الله بن فودي:

ولما مضى صاحبو ضياء تماربي * وخلفتها لأخلاف أهل الأكاذب

يقولونما لا يفعلونو تابعوا * هو اهو طاعوا الشحفيك لجانبxvi

مقتبسا منقول له تعالى:

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا الْمَتَّقُونَ لَوْ أَنَّمَا لَتَفْعَلُوا نَكْبَرُ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَقُولُوا أَمَا لَتَفْعَلُونَ. } xvii

وقولاً بيجعفر الأندلسي:

لاتعداد الناس في أوطانهم *** قلما ير عن غريب الوطن

وإذا ما شئت عيشاً بينهم *** خالق الناس بخلق حسن^{xviii}

مقتبساً منقولاً له صلوات الله عليهم، من حديث أبي بكر:

"انقالله حيثما كنتوا أتبع السيرة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن"^{xix}.

أنواع الاقتباس:

نوع البلاغيون الاقتباس إلى نوعين، الأول: هو الذي لا يخرج به المقتبس عن معناه، أي لا يخرج الأثر المقتبس عن معناه الأصلي، بأن يضمنه بالمعنى الذي ورد به. والثاني: هو الذي يخرج به المقتبس عن معناه الأصلي، بأن يضمنه بغير المعنى الذي ورد به، أو يكتفي به.^{xx}

ومثال النوع الأول قول الحريري: "فلم يكن بالكلّم البصر أو هو أقرب."

حتماً شذفاً غريباً^{xxi} فإنما الحرير يكتفي بهذا الاقتباس عن شدة القرب والسرعة،

وكذلك هو في الآية الشريفة. قال السمرقندي في تفسير الآية: "أخبر الله تعالى بالبعث والإحياء في قدرة الله تعالى ومشيتته كالمحالبصر، ولميردنا الساعة تأتيفي لمحالبصر ولكنه وفسر علة القدرة علماً لا تيانها"^{xxii}.

ومثال النوع الثاني قول ابن الرومي:

لنأخطأ تفيمدحي *** ك ما أخطأ تفيمدحي

لقد أنزلت حاجاتي *** بواد غير ذي زرع^{xxiii}

فإنما الشاعر كتب بهذا الاقتباس عن الرجل البخيل الذي لا يراعي جنفعه، والمراد بواد غير ذي

زرع في الآية الكريمة: أرض مكمّة التيشرفها اللهو عظمها، لأنها في ذلك الوقت

وإدلاء في هو لآنبات، وأما في البيت فكنى به ابن الرومي عن الرجل

البخيل الذي لا خير فيه ولا نفع. ويجوز

أيضاً أن يغير اللفظ المقتبس منه بزيادة أو نقصاناً أو تقديماً أو تأخيراً أو إبدال الظاهر من المضمراً

وغير ذلك، ومن التغيير بالزيادة وإبدال الظاهر من المضمراً قول الشاعر:

كانا الذي خفت أن يكونا *** إنا إبالله راجعون^{xxiv}

فإذا ألفتهم راجعون لجهة الإشباع، وأتبع الظاهر مكان المضمراً فيقول له إنا إبالله، ومرادها

ية التعزية في المصيبة، وهي قولته تعالى: {

الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. }^{xxv}

آراء الباحثين حول الاقتباس:

ذهب بعض الباحثين إلى التوسيع في تعريف الاقتباس, فشمّل تعريفهم له الأمثال السائرة والحكم المشهورة والأقوال المتداولة من كبار البلغاء والشعراء, ومن هؤلاء الباحثين : عبدالرحمن حسنالميداني في "البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها" عند قوله : "الاقتباس: أن يُضَمَّنَا لمتكلم كلامه منشعر أو نثر كلاماً لغيره بلفظها وبمعناه، وهذا الاقتباس يكون من القرآن المجيد، أو مناقب الرسول صلى الله عليه وسلم، أو من الأمثال السائرة، أو من الحكمال مشهورة، أو مناقب الكبار البلغاء والشعراء المتداولة، دون أن يعز و المقتبس بالقول لإلقائه." xxvi

وكذلك أيمن أمين عبد الغني "في الكافي في البلاغة" ولعله أخذ هذا الرأي من عبد الرحمن حسن الميداني السابق.

وهذا التوسيع يؤدي إلى خضم الاقتباس ظواهر من مباحث علم البديع التي اصطلح عليها علماء البلاغة والأدب, ومثلوا لها في كتاباتهم, مثل: السرقات الشعرية والتضمين والتلميح ومصطلح التناسل الآتي ذكره. والسرقات الشعرية "هي أن يأخذ الشخص كلاماً لغيره وينسبها لنفسه." xxvii وهي بهذا المفهوم تختلف عن الاقتباس, لأنها تختص بالشعر من بين الإنتاج الأدبي, حيث يأخذ الشاعر كلام غيره إما ظاهراً أو تلميحاً لفظاً أو معنى وينسبها لنفسه, وهي إذاً لا تتناول القرآن الكريم أو الحديث الشريف, اللذين كانا مجال الاقتباس ومحل نظره. أما

التضمين "فهو أن يضمنا لشعر شيئاً منشعر الغير معالتنبيه عليها لنميكنا مشهوراً عند البلغاء. xxviii والمعنى أن التضمين هو أن يأخذ الشاعر شيئاً من شعر غيره بيتاً كان أو مصراعاً أو ما دونه فيضمه في شعره, ثم إن كان الشيء المضمن به غير مشهور عند البلغاء فلا بد من التنبيه لئلا ينسبه إلى السرقة مع تعرفه لغيره. xxix والفرق بين التضمين والاقتباس يتمثل في أن التضمين خاص بالشعر من حيث الأخذ والتضمين, بالإشارة إلى مكان المأخوذ أو بغيرها, في حين أن الاقتباس يشمل ما ضمنه الشاعر أو الناثر من القرآن الكريم أو الحديث الشريف في إنتاجه, من غير الإشارة إلى المصدر المأخوذ.

أما التلميح " فهو أن يشار في نحو الكلام بالنقصة أو شعر أو مثل سائر من غير ذكره. ^{xxx} أو " هو أن يضمن المتكلم كلمة أو كلمتا من آية أو قصة أو بيت من الشعر أو مثل سائر أو معنمج ردمن كلاماً وحكمة. " ^{xxxii}

والفرق بين التلميح والاقْتباس، كائن من جهة أن التلميح يكون عن طريق الإشارة إلى حادثة سواء في القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو أقوال السلف أو الأمثال السائرة من غير تصريح لها، وأما الاقتباس فلا يكون عن طريق الإشارة، كما أنه لا يتناول غير القرآن والحديث.

ويبدو أيضاً أن التوسيع السابق في مفهوم الاقتباس مخالف لما عليه كثير من القدامى والمحدثين من علماء البلاغة والأدب في تعريفه وأمثله، مثل: القزويني في "الإيضاح في علوم البلاغة"، وابن حجة الحموي في "خزانة الأدب وغاية الأرب"، وشهاب الدين النويري، في "نهاية الأرب في فنون الأدب"، والسيوطي في كتابيه: "شرح عقود الجمان، والإتقان في علوم القرآن"، وأكمل الدين محمد البابر تي، في "شرح التلخيص". وأحمد الهاشمي، في "جواهر البلاغة"، والدكتور بسيوني عبد الفتاح فيود، في "علم البديع".

يقول ابن حجة الحموي في هذا الصدد:
"الاقتباس هو أن يضمن المتكلم كلمة من آية أو آية من آيات كتاب الله خاصة هذا هو الإجماع ^{xxxii} ..."

وقال أيضاً بعد كلام طويل عن الاقتباس من القرآن: "... وقد أوسع بعض علماء هذا الفن المجال في ذلك فذكر أن الاقتباس يكون نفي مسائل لفقهوا قال بعضهم إذا قلنا بذلك فلا معنى للاقتصار علم مسائل لفقه بل يكون نفي غيرهم من العلوم، وعليه هذا التقدير تعيناً ننو ردهنا ما وقع من الاقتباس في الحديث النبوي ببقية العلوم، بحيث لا يخلو هذا الشر حاله غير يمين الغرا نب، فإننا نلاحظ من كلامهم أن الاقتباس مقصور على القرآن والحديث" ^{xxxiii} ...
وخلاصة ما يشير إليه ابن حجة الحموي: إنكار قول من يدعي أن الاقتباس يتناول غير القرآن والحديث، وإثبات أنه خاص بالقرآن الكريم والحديث الشريف، هذا هو ظاهر كلام البلاغيين، وأن القول بأنه يتناول غيرهما يؤدي إلى أن يكون كل ما أخذه المتكلم من كلام الغير اقتباساً، وهذا مخالف لما قرره أهل هذا الفن، ويؤدي إلى تلاشي بعض المصطلحات البلاغية والأدبية كما سبق.

ومما يدل على ضعف ذلك التوسيع في مفهوم الاقتباس أن الباحثين اللذين سبق ذكرهما في هذا الرأي من التوسيع لم يجاوز تمثيلهما الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ولم يمثل بما يتعلق بالاقتباس من الأمثال السائرة، أو من الحكم المشهورة، أو مناقو الكبار البلغاء والشعراء المتداوله. مع وجودها بكثرة في كتابات الأدباء ومؤلفاتهم.

ويؤيد ضعف هذا التوسيع أيضا أ.د. عبد الباقي شعيب أغاك في "أساليب بلاغية في ديوان الأستاذ عبد الله بن فودي" عند ما أصدر الاقتباسات التي تناولها الأديب في ديوانه من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، واصطاح على كل ما أخذه من النصوص الأدبية الراقية بالتضمين. وفي ذلك يقول: "لقد لون عبد الله هذا البديع قصائده في وجوه كثيرة، حتى تكاد لم تشذ قصيدة إلا وقد اقتبس فيها عددًا من أي الذكر الحكيم الذي ظل في المرتبة الأولى، ويليه الحديث الشريف، والتضمين بأنماط من النصوص الأدبية الراقية" ^{xxxiv}.... وقال أيضا: "وكذلك اعتمد إلى عدد من صور التضمين في كثير من عيون الشعر، ومنه قوله:

وله شبول نانبون منابه * * والشبل عند السبر مثل الخرج
أخذًا من قول الحريري :

أنا السّر وجيو هذا ولدي * * والشبُّفيا المخبّر مثل الأسد ^{xxxv}

هكذا استمر المصنف يحلل ويعبر بالتضمين عن كل ما أخذه الأديب الأستاذ عبد الله في ديوانه من الشعراء السابقين. وينص بالاقتباس على ما أخذه من القرآن والحديث .

والذي يطمئن إليه قلب الباحث ويميل إليه أن الاقتباس خاص بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، كما هو مذهب الكثير من علماء هذا الفن، وكل ما ضمنه الأديب في كلامه

من الأمثال السائرة، أو من الحكم المشهورة، أو مناقو الكبار البلغاء والشعراء المتداوله فإنه يُنظر إليه ويُرجع إلى مصطلحه اللائق به ومبحثه عند علمائه .

التناص: مفهومه وأنواعه:

التناص لغة: تفاعل من نصص، وهو مشتق من النص، والنصفي اللغة: يطلق علماء فروع الظهور، يقال: نصّ الشئ عيّنهُ نصًّا : رفعهُ وأظهرهُ، ونص الحديث

ينصه نصا رفعه, وكل ما أظهر فقد نص, وقال عمرو بن دينار ما رأيت رجلا أنص للحديث من الزهري أي أرفع له وأسند, يقال نص الحديث إلى فلان أي رفعه وكذلك نصصته إليه, ونصت الظبية جيدها رفعته, ووضع على المنصة أي على غاية الفضيحة والشهرة والظهور.^{xxxvi}

أما كلمة "التناص" فوردت في المعاجم اللغوية بمعنى الانقباض والازدحام, يقولون: انتصالرجلأي: انقبض.^{xxxvii} وتناصالقومأي: ازدحموا.^{xxxviii}

وهذا المعنى الأخير يقتر بمنفهومالتناصبصيغتهاالحديثة, كما سيأتي, فتداخلالنصوصقريبجدأمنازدحامها.

التناص اصطلاحاً:

تنوعت آراء الباحثين الغربيين لمفهوم التناص, فترى الباحثة جوليا كريبستيفا رائدة هذا المصطلح: "أن التناص هو التفاعل النصي في نص بعينه, وعندها يعد التناص إحدى سمات النص الأدبي, لأن كل نص هو امتصاص أو تحويل لوفرة من النصوص الأخرى."^{xxxix}

وعرفه بعضهم بأنه: "التقاطع داخل نص لتعبير مأخوذ من نصوص أخرى, وكل نص هو امتصاص لنص آخر أو تحويل عنه."^{xl}

ويقول مرجع آخر: "كل نص يتعاش بطريقة من الطرق مع نصوص أخرى وبذلك يصبح نصاً في نص تناساً. والتناص إذاً عبارة عن قراءة لنصوص سابقة وتحويل لهذه النصوص وإعادة كتابتها ومحاورتها بطرائق عدة على أن يتضمن النص الجديد زيادة في المعنى عن النصوص السابقة التي تشكل نواة له."^{xli}

وتعريفات التناص كما بينها الباحثون كثيرة وكلها تدور حول جوهر التناص الذي يرمي في النهاية إلى كونه تأثر نص بنص سابق. ويفهم أيضاً من التعريفات أن أساس التناص التفاعل والتشارك بين النصوص وتأسيساً على هذا تنفي كريبستيفا وجود نص مستقل منعزل عن غيره من النصوص, فلا بد من مداخلات نصوص أخرى, وهذا دفعها إلى القول: إن كل نص عبارة عن لوحة فسيفسائية من اقتباسات وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى.^{xlii} وهذا يقتضي المعرفة السابقة للنصوص, لأن النص يعتمد على تحويل النصوص السابقة وتمثيلها في نص مركزي يجمع الحاضر والغائب في نسيج متناغم مفتوح

قادر على الإفضاء بأسراره النصية لكل قراءة مفصلة تدخله في شبكة أعم من النصوص. ^{xliii}

ومن تمثيلهم للتناص قول جرير في مدح يزيد بن عبد الملك :

أما يزيد فإن الله فهمه *** حكماً وأعطاه ملكاً واضح النور ^{xliv}

في البيت تناص مع قوله تعالى :

{ فَفَهَّمْنَا هَاسِلِيْمَانَو كَلَّا اتَيْنَا حُكْمَاو عِلْمَاو سَخَّرْنَا مَعَدَاو وَذَ الْجِبَالِ يُسَبِّحْنَ الطَّيْرَ وَكُنَّ فَا عَلَيْنِ } ^{xlv}

وقوله يمدح معاوية بن هشام بن عبد الملك :

قد كان قال أمير المؤمنين لهم *** يعلم الله من صدق وإجهاد

من يهده الله يهتد لا مضل له *** ومن أضل فما يهديه من هادي

في البيت الأخير تناص مع قوله تعالى:

{ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَبِهْدَى اللَّهُ لَهُ مَذْيَبَاتٍ مِّنْ يُضِلُّهَا وَاللَّهُ بَاطِلٌ أَلْفَ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ } ^{xlvi} ويحتمل أن يكون البيت

متناص مع ما روي من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفتح خطبته بعد

حمد الله والثناء عليه بقوله : " مَن يَهْدِ اللَّهُ فَبِهْدَى اللَّهُ لَهُ مَذْيَبَاتٍ مِّنْ يُضِلُّهَا وَاللَّهُ بَاطِلٌ أَلْفَ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ... " ^{xlvii}

أنواع التناص :

نوع الباحثون التناص إلى نوعين:

(1) التناص المباشر أو الخارجي

أو الشكلي: وهو اجتزاء قطعة من النصوص السابقة ووضعها في النص

الجديد بعد توطئة لها مناسبة تجعلها تلائم معالم الموقف والاتصال الجديد وموضوع النص. ^{xlviii}

وهذا النوع من التناص يقرب من مصطلحات الاقتباس والتضمين وصور من

السراقات الشعرية التي في الدراسة الأدبية والبلاغية المعروفة قديماً.

ومن تمثيلهم للتناص المباشر في الشعر من القرآن قول جرير يمدح عمر بن عبد

العزير:

نال الخلافة إذ كانت له قدراً *** كما أتى ربه موسى على قدر ^{xlix}

في هذا البيت تناص مع قوله تعالى في خطاب موسى عليه السلام

: { ... فَلْيَنْتَسِبْ نِسْبِيًّا هَلَمْ دَيْتُمْ جِئْتُمْ عَلَيَّ قَدْرِي يَا مُوسَى } ¹

ومثال التناص المباشر في النثر من القرآن قول نجيب محفوظ

في حكاية إبراهيم توفيق الطالبا بالمهر جالذير اهنفيا المدرسة على

تناول عشرة قرون نفاً لحامية، حيث تناولها واحد تلو الآخر يحتيد مع تعينا هو سال منها الدمع معماء أنفهوا احمرّ وجههوا انتفخأنفه، و عليه هذا الحال يدخلون الصف.

أراد نجيب محفوظ بهذا القطعة تصوير حال الطالبو جو الصف وأنّه في حصة الدين، حيث يقول: "و عليه هذا الحال دخل حصة الدين

والشيخ يطار دهباً بالتسمي علما هو معروف عنهم إلا همالو الشقاوة، يقول له:

إبراهيم سمع "تبارك الذي" ويلبث إبراهيم صامتا مغمورا بهومومه الخفية، فيصيح به الشيخ قف يا ولد وسمع.^{li}

في القطعة تناص مع الآية الشريفة: { تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ هُوَ عَلِيمٌ شَدِيدٌ }^{lii} فالشيخ يطلب من إبراهيم توفيق قراءة سورة الملك، ويشير إليها الكاتب بـ تبارك الذي.

(2) التناص غير المباشر أو الداخلي والمضموني. فهو الذي يستنبط من النص

استنباطاً، ويرجع إلى تناص الأفكار أو المقروء والثقافياً والذاكرة التاريخية التي تستحضر تناسها

بروحها أو بمعناها لالبحر فيتها أو لغتها وتفهم من تلخيصات النص وإيماءاته هو شفرته تميزا ته.^{liii}

والتناص الداخلي إذاً هو الذي يستنبط ويفهم من النص، ولو كان بإشارة وجيزة. ومثاله في النثر من القرآن الكريم قول نجيب محفوظ في رواية: " ومنشدة حملت فيها أثم لبثور هفيملاً منظرها لكون.

وخاطر طيب يقول لي إن صاحب المكان وولي الأمر، وإنه ودوبخلاف الآخرين ...^{liv} في القطعة تناص داخلي غير المباشر

مع الآية الشريفة: { وَاسْتَغْفِرْ وَأَرْبُكَ مَتَّوْبُ إِلَيْهَا تَرْبِيرَ حِيمٍ دُودٌ }^{lv}

صور نجيب محفوظ في هذا الرواية أيام طفولته، وكان يسأل عن أشياء كثيرة، كعادة الأطفال، وهو فيروا ويتهدد هي أكثر من الأسئلة علمنحو لهم أنم هو أبيه، وصور أنه يمثل اللهيب ار كوتعالى ونصالرواية تشير إلى وجود الله وأنور هيماً

الكون، فاللهو اسعليم، وهو يعلم كل شيء، وإنه ودوبخلاف الآخرين ينفذها إشارة من مزية إيال الكون.^{lvi}

وهذا النوع من التناص يتوافق مع مصطلح التلميح في الدراسة البلاغية. إذ فيه إشارة إلى معنى في القرآن الكريم من غير التصريح به.

ومن تمثيلهم لامتناس الحديث أي تناس الحديث في الشعر قول الشيخ شنت
 فيتصوير الميتم الحلو له في القبر، وقد تولع عنها أهلها ما لهم عسائر منحضر الدفن :
 ونخلو عن الأموال والأهل والذرة *** ولا ثملاً إلا الحالياً ليتحالياً^{lviii}
 فإن فكرة البيت مأخوذة من قوله صلى الله عليه وسلم: "يَنْبَعُ الْمَيْتَاتُ ثَلَاثَةً :
 أَهْلُهُو مَالُهُو عَمَلُهُ : فَيَرِجَعَانِ، وَيَبْقَوَانِ أَحَدٌ : يَرِجَعُ أَهْلُهُو مَالُهُو يَبْقَعُمَلُهُ."^{lviii}
 ومن تمثيلهم للتناص الشعري في الشعر الحديث قول محمود درويش، في
 قصيدته في انتظار العائدين حيث عكس البيت المضمن ليؤكد مقصوده:
 هذا زمان لا كما يتخلون/ بمشيئة الملاح تجري الرياح/ والتيار يغلبه السفن^{lix}
 الفكرة متناصة ومتضمنة من بيت المتنبي الذي يقول فيه:
 مَا كَلَّمَا يَمْتَنَّا لَمَرَّءٍ يُدْرِكُهُ *** تَجْرِي الرِّيحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السَّفِينُ^{lx}
 وقوله أي محمود درويش أيضاً مضمناً صدر بيت عنتره :
 هل غادر الشعراء مصر؟ ولن يعودوا / إن أرض الله ضيقة وأضيق من
 مضائقها الصعود / على بساط الرمل.^{lxi}
 وقوله: "هل غادر الشعراء... " مأخوذ من بيت عنتره الذي يقول فيه:
 هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مُمْتَرِدَمٌ *** أَمْ هَلْ عَرَفْنَا الدَّارَ بَعْدَتْوَهُمْ^{lxii}
الاتفاق والافتراق بين الاقتباس والتناص :

يبدو مما سبق من مفهوم الاقتباس والتناص ومضمونها أن كلا منهما عبارة عن
 تصرف الأديب شاعراً كان أو ناثراً في نص الغير. والاقتباس كما
 مرّ عبارة أنتضمينا لأديبكلامه شعر اكانا ونثرا عبارة لاتخضع لنا القارئ أو السامع أنهما ناقرا
 ءأنا الكريما والحديث الشريف، من غير أن يصح بذلك.
 بقصد تقوية الكلام وتزبيبه بما في أسلوبهما من البلاغة والفصاحة.
 والبهاء، لفظاً ومعنى، فهو إذاً خاص بالقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وهما
 مصدرهم من حيث الأخذ، ويشمل الشعر والنثر الفني من حيث التضمين.
 وهذا كما مرّ هو مذهب الكثير من البلاغيين والأدباء.

أما التناص فهو كما سبق عبارة عن تداخل النصوص، وتفاعل بعضها مع
 البعض، سواء أكان النص المتناص قرآناً أو حديثاً أو غيرهما من الأعمال
 الأدبية، أو القصص التاريخية. والتناص إذاً يأتي في صورة الاقتباس إذا كان
 شكلياً ومباشراً من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف، ويأتي في صورة

التضمين والسراقات الشعرية إذا كان شكلي ومباشرا من الشعر من حيث الأخذ والتضمين, ويأتي في صورة التلميح إذا كان داخلي وغير المباشر, حيث يستتبط من النص

استنباطاً, ويرجع إلى تناسل الأفكار أو المقروء والثقافي أو الذاكرة التاريخية, وفهم من النص المتناسل ولو كان بإشارة وجيزة. وعلى هذا يمكن إحصاء وجه الاتفاق والافتراق بيننا لاقتباس التناسل كما يلي:

vii. الاقتباس خاص بالقرآن والحديث من حيث التضمين, في حين أن

التناسل لا يختص بهما من حيث التضمين بل يتناولهما ويتناول غيرهما من العمل الأدبي شعرا كان أو نثرا والقصص والحوادث التاريخية.

viii. الاقتباس لا يأتي في صورة تضمين الفكرة التي تستتبط من النصوص المتضمنة, في حين أن التناسل يأتي في صورة تناسل الفكرة أو المقروء الثقافي أو الحدث التاريخي التي تستتبط بروحها أو بمعناها لا بألفاظها ولغتها.

ix. أن التناسل المباشر أو الخارجي إذا كان من القرآن أو الحديث يوافق الاقتباس, ويخالفه إذا كان غير المباشر أو الداخلي أو كان من غير القرآن أو الحديث.

وخلاصة القول إن التناسل بمفهومه السابق ونوعيه الخارجي والداخلي أوسع من الاقتباس من ناحية الدلالة والمضمون, ومصدره يشمل القرآن الكريم والحديث والشعر والسيرة والأحداث التاريخية. وهو يأتي مباشرا من حيث اللفظ من النصوص المتناسلة وغير المباشر منها. ومما يجدر الإشارة إليه أن مصطلح التناسل الحديث الظهور في الدراسة العربية لا يخرج عن تلك المصطلحات القديمة في الدراسة البلاغية والأدبية بأسماء السراقات الأدبية وما يتصل بها من الاقتباس والتضمين والتلميح, وهي مصطلحات معروفة منذ قرون. وإذا قال الباحثون التناسل القرآني فيقصدون الاقتباس من القرآن, أو التلميح إلى قصة منه. وإذا أضافوا الكلمة إلى الحديث وقالوا امتصاص الحديث فقصدهم الاقتباس من الحديث

أو التلميح منه. وإذا وصفوا كلمة التناص بالأدب وقالوا التناص الأدبي فهذا يدل إما على التضمين أو السرقة الأدبية.

الخاتمة :

تحدثنا الباحث فيما سبق عن مفهوم الاقتباس، وأنواعه وآراء بعض الباحثين في حدوده، كما تناول مفهوم التناص وأنواعه ممثلاً لكل منها، ثم تطرقنا بالحديث عن وجه الاتفاق والافتراق بين الاقتباس، في الدراسة البلاغية والأدبية القديمة، والتناص في الدراسة الأدبية الحديثة. ومما أسفره البحث أن مصطلح التناص وإن استفاد أدباء العرب من الباحثين الغربيين عن طريق الترجمة لم يكن مفهومه بعيداً عن بعض المصطلحات النقدية المعروفة عند العرب قديماً، كالاقتباس وما شاكله من التضمين والتلميح والسرقة الأدبية، ولعل النقاد الغربيين انتبهوا إلى ظاهرة التناص بعد أن تصفحوا النصوص العربية القديمة، فسبق العرب الغرب في الوصول إلى مفهوم التناص وإن لم يعرفوه بهذه التسمية الحديثة. وعلى هذا يمكن القول: بأن التناص أوسع وأشمل من الاقتباس، لأنه يدخل في مفهومه.

الهوامش والمراجع:

- i الفيومي، أحمد بن محمد الحموي، **المصباح المنير**، مراجعة أحمد جاد ط/1/1428 هـ
- 2007/م دار الغد الجديد القاهرة ص/ 282
- ii الجوهرى، أبونصر إسماعيل بن حماد، **الصباح**، تحقيق د. محمد محمد تامر، 1430 هـ - 2009 م دار الحديث القاهرة . ص/911
- iii ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري، **لسان العرب**، دار صادر بيروت ط/1/ج/6/ص/167 .
- iv سورة طه الآية : 10
- v البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل**، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر وشركاؤه، دار طيبة ط/4/1417 هـ - 1997 م ج/ص/265
- vi القزويني الخطيب، محمد بن عبد الرحمن بن عمر جلال الدين، **الإيضاح في علوم البلاغة**، المعاني والبيان والبدیع، مختصر تلخيص المفتاح، تحقيق فسحى السيد، المكتبة التوفيقية، ص/ 262

- vii السيوطي, جلال الدين عبد الرحمن, شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان, دار الفكر بيروت لبنان, ص/ 166
- viii المرجع السابق ص/ 165-166
- ix الحريري, شرح مقامات الحريري ص/430-431
- x الطبراني, سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم, المعجم الكبير, مكتبة العلوم والحكم الموصل, ط/2/ 1404 هـ – 1983 م تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي, ج/22/ ص/ 237
- xi بسوني, عبد الفتاح فيود الدكتور, علم البديع, دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع دار المعالم الثقافية, ط/ 2/ ص 225
- xii القزويني الخطيب, الإيضاح في علوم البلاغة, ص/ 262
- xiii سورة الذاريات الآية : 22-23
- xiv الحريري أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان, شرح مقامات الحريري دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت, ص/9
- xv البخاري, محمد بن إسماعيل, صحيح البخاري, تحقيق الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز, دار الفكر, المجلد الأول, ص/3
- xvi ابن فودي, الأستاذ عبد الله, تزيين الورقات, طباعة ونشر أبوبكر عثمان, الملقب ببابي, والحاج عبد الرحمن بن الحاج عثمان المغربي صكتو, بتاريخ 23-3-1383 هـ ص/73
- xvii سورة الصف الآية : 3
- xviii المقرئ التلمساني, أحمد بن محمد, نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب, تحقيق : د.إحسان عباس, دار صادر بيروت ، 1968
- xix الترمذي, محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي, سنن الترمذي, تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون, دار إحياء التراث العربي بيروت, ج/4/ ص/ 355
- xx الحموي, ابن حجة تقي الدين, أبي بكر علي بن عبد الله الأزرازي, خزنة الأدب وغاية الأرب, تحقيق: عصام شعيتو, دار ومكتبة الهلال بيروت, ط/1/ 1987/ج/2/ ص/456
- xxi الحريري, شرح مقامات الحريري, ص/23
- xxii السمرقندي, أبو الليث, نصر بن محمد بن إبراهيم, بحر العلوم, تحقيق: د.محمود مطرجي, دار الفكر بيروت, ج/2/ 284

- xxiii ابن الرومي, ديوان ابن الرومي, نسخة إلكترونية من المكتبة الشاملة, الإصدار الثالث, ج/1/ص/2857
- xxiv الحموي, ابن حجة, خزانة الأدب وغاية الأرب, ص/456
- xxv سورة البقرة الآية 156
- xxvi الميداني, عبدالرحمن حسن حَبَّكَة, البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها, نسخة إلكترونية من المكتبة الشاملة الإصدار الثالث, مكة المكرمة, فى 1414/4/9 هـ ج/1/ص/864
- xxvii الهاشمي السيد أحمد, جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع, دار الفكر طبعة مجددة, إشراف صدقي محمد جميل. ص/359
- xxviii القزويني الخطيب, الإيضاح في علوم البلاغة, ج/1/ص/383
- xxix البابر تي, الشيخ أكمل الدين محمد بن محمد, شرح التلخيص, دراسة وتحقيق د. محمد مصطفى رمضان صوفية, المنشأة العامة, طرابلس, الجماهيرية العربية الليبية الشيعية, ط/1/1492 ص/701
- xxx سعد الدين التفتازاني, مختصر المعاني, دار الفكر, الطبعة: الأولى 1411 هـ - ج/1/ص/294
- xxxi الكفومي أبو البقاء, أيوب بن موسى الحسين كتاب الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية, تحقيق: عدنان درويش محمد المصري, دار مؤسسة الرسالة - بيروت - 1419 هـ - 1998 م ج/1/ص/463
- xxxii الحموي, ابن حجة, المرجع السابق, 1987 ص/455
- xxxiii نفس المرجع, ص/471
- xxxiv أعاك, أ.د. عبد الباقي شعيب, أساليب بلاغية في ديوان الأستاذ عبد الله بن فودي, مكتبة دار الأمة لوكالة المطبوعات كنو نيجيريا, ط/1/1429 هـ - 2008 م ص/333
- xxxv المرجع السابق ص/336
- xxxvi ابن منظور, لسان العرب, ج/7/ص/97 مادة (ن ص ص)
- xxxvii الزبيدي, مرتضى محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني, تاج العروس من جواهر القاموس, تحقيق مجموعة من المحققين, دار الهداية, ج/18/ص/181 مادة (نصص).
- xxxviii إبراهيم مصطفى وشركاؤه, المعجم الوسيط, دار الدعوة, تحقيق مجمع اللغة العربية, ج/2/ص/926

- xxxix حسن علي بشير بهار, **التناص الديني عند أبي العتاهية**, رسالة قدمها استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الأدب العربي, من كلية الآداب في جامعة الإسلامية بغزة 2013-2014م
- رمضان, د. إبراهيم عبد الفتاح, **التناص في الثقافة العربية المعاصرة**, دراسة تأصيلية في بليوجرافيا المصطلح, **مجلة الحجاز العالمية المحكمة للدراسات الإسلامية والعربية**, العدد الخامس, محرم 1435هـ/نوفمبر 2013م بلا مطبعة.
- lxi **المرجع السابق نفس الصفحة**.
- lxii حسن علي بشير بهار, **التناص الديني عند أبي العتاهية**, ص/22
- lxiii **المرجع السابق**, ص/18
- lxiv عمر لحسن (الدكتور) **التناص القرآني في شعر جرير**, قسم اللغة العربية وآدابها جامعة باجي مختار - عناية ص/ 156
- lxv **سورة الأنبياء الآية 79**
- lxvi **سورة الأعراف : الآية 178**
- lxvii البيهقي, أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي, **السنن الكبرى**, مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد ط/1 / 1344 هـ ج/3 ص/214
- lxviii پرويني خليل الدكتور ونعيم عموري, **التناص القرآني في رواية حكايات حارتنا** أنجب محفوظ, **آفاق الحضارة الإسلامية**, أكاديمية العلوم الانسانية و الدراسات الثقافية, السنة الثالثة عشرة, العدد الثاني, خريف و شتاء, 1431 هـ, ص/151 بلا مطبعة.
- lxix عمر لحسن (الدكتور) **التناص القرآني في شعر جرير**, ص/157
- l⁴⁰ **سورة طه الآية**:
- li پرويني خليل و نعيم عموري, **المرجع السابق**, ص/158
- lii **سورة الملك الآية** : 1
- liii پرويني, نعيم عموري, **المرجع السابق**, ص/ 151
- liv **المرجع السابق**, ص/154
- lv **سورة هود الآية**: 90
- lvi پرويني ونعيم عموري, **المرجع السابق**, ص/154
- lvii أحمد جعفر عبد الملك, **امتصاص الحديث في بعض زهديات الشيخ شئت, مالم**, **مجلة الدراسات اللغوية**, قسم اللغة العربية جمعة عثمان بن فودي صكتو نيجيريا, العدد الثامن محرم 1433 هـ نوفمبر 2011م

- lviii النووي, الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف, رياض الصالحين, دار الفكر, ط/1/ 32/1417 هـ ص
- lix مرضية زارع زرديني, ظاهرة التناسل في لغة محمود درويش الشعرية, التراث www SID.ir الأدبي السنة الأولى, العدد الثالث, ص/97
- lx انظر ديوان المتنبي, ج/1/ ص/134
- lxi مرضية زارع زرديني, المرجع السابق, ص/98
- lxii انظر: ديوان عنتر بن شداد, نسخة إلكترونية مصدرها المكتبة الشاملة الإصدار الثالث, بلا صفحة .